إنجيل يوحنا

الاصحاح الثالث

الـولادة الجديدة

مقدمة عن الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا

يُعد هذا الإصحاح من أصعب النصوص في العهد الجديد، لكنه في الوقت نفسه أحد أكثرها تأثيرًا في جذب غير المؤمنين نحو الإيمان.

- لقاء فريد بين نيقوديموس، فريسي بارز، والمسيح يتمحور حول الولادة الجديدة من الماء والروح شرطًا للدخول إلى ملكوت الله.
- دعوة إلى تجديد داخلي حقيقي، يتجاوز التدين والبر الذاتي، ويقوم على الإيمان، لا الناموس وحده.
- المعمودية مرتبطة بالصليب، حيث يبدأ الإنسان حياة جديدة باتحاد روحي مع المسيح.
- المسيح يؤكد أن الإيمان أساس الخلاص، يليه المعمودية والجهاد الروحي في النعمة.
- شهادة يوحنا المعمدان في نهاية الإصحاح تُبرز فرحه بظهور المسيح "العريس"، وتأكيده أن من يؤمن بالابن له حياة أبدية، ومن يرفضه تبقى عليه الدينونة.
- يعكس الإصحاح انتقالًا من الرمز إلى الحقيقة، ومن انتظار المخلص إلى الإيمان به واتحاد حقيقي معه.

موضوعات الاصحاح الثالث من إنجيل يوحنا

(1) نيقوديموس والولادة الجديدة
(يو 3: 1 - 21)

(2) شهادة يوحنا المعمدان الأخيرة عن يسوع
(يو3: 22 - 36)

أولاً: نِيقُودِيمُوس والولادة الجديدة
(يو3: 1 – 21)

(1) مجيءَ نِيقُودِيمُوس إِلَى يَسُوعَ لَيلاً

1 كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ، رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ.

- نيقوديموس، عضو السنهدرين والمجلس الأعلى لليهود، كان فريسيًا ذا مكانة دينية واجتماعية مرموقة، ويحمل لقب "معلم إسرائيل" كونه حاصلًا على أعلى درجات الناموس.
- ينتمي الفريسيون إلى جماعة يهودية متشددة في التمسك بالتقاليد والوصايا، وغالبًا ما يتباهون بتقواهم ويقاومون المسيح، لكن نيقوديموس كان استثناءً بينهم، إذ أظهر انفتاحًا ورغبة حقيقية في التعرف على المسيح.
- هذا الانفتاح يعكس كيف تعمل نعمة الله حتى في قلوب القادة والمتشددين، ويظهر أن الإيمان بالمسيح يمكن أن يتجاوز الحواجز الاجتماعية والدينية، حتى وإن كان إيمانًا سريًا في بعض الأحيان.

2 هـذَا جَـاءَ إِلَـى يَسُـوعَ لَيْلًا وَقَالَ لَـهُ: «يَـا مُعَلِّـمُ، نَعْلَـمُ أَنَّـكَ قَـدْ أَتَيْـتَ مِـنَ اللهِ مُعَلِّمًـا، لأَنْ لَـيْسَ أَحَـدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هـذِهِ الآيَـاتِ الَّتِـي أَنْـتَ تَعْمَـلُ إِنْ لَـمْ يَكُـنِ اللهُ مَعَهُ».

- جاء نيقوديموس إلى يسوع ليلًا، إما خوفًا من الفريسيين، أو حفاظًا على مكانته، أو رغبة في حوار هادئ بعيدًا عن الجماهير، مما يعكس حذرًا وضعفًا في إيمانه الأولي.
- مجيئه ليلًا تكرر لاحقًا، مما يشير إلى تردده وخوفه من انكشاف زيارته، وربما أيضًا إلى صراع داخلي بين الإيمان والكبرياء أو إلى رغبة صادقة في البحث عن الحق بهدوء.
- خاطب يسوع بلقب "يا معلم" (رابي) تعبيرًا عن احترامه لسلطته التعليمية، واعترف بأن معجزاته دليل على أنه مرسل من الله، لكنه لم يدرك بعد لاهوته الكامل.
- استخدم نيقوديموس صيغة "نعلم" للدلالة على أن بعض الفريسيين كانوا معجبين بأعمال المسيح، لكنه تميز بالجرأة في طلب لقاء شخصي معه.
- دافعه للزيارة كان روحيًا صادقًا، إذ لم يكتفِ بالإيمان الظاهري بالمعجزات، بل سعى لمعرفة أعمق عن هوية المسيح رغم ظلام الليل وظلمة قلبه الروحي.

3 أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ».

- يجيب المسيح نيقوديموس دون انتظار سؤال مباشر، كاشفًا معرفته بما في قلبه ومؤكدًا لاهوته من خلال إعلان الولادة من فوق، وهي ولادة روحية سماوية تتجاوز الفهم اليهودي التقليدي المرتبط بالمملكة الأرضية.
- هذه الولادة، التي تتم بالمعمودية وعمل الروح القدس، ليست مجرد توبة أو تغيير سلوك، بل خلق جديد يحول الإنسان إلى ابن لله، قادر على رؤية ملكوت الله والتمتع بالحياة الأبدية في شركة حقيقية معه.
- يستخدم المسيح تعبير "الحق الحق" ليؤكد أهمية هذا التعليم، موضحًا أن ملكوت الله الروحي، الحاضر في قلب المؤمن واكتماله بالمجد الأبدي، لا يُدرك إلا بالولادة من فوق، وليس عبر الجهد البشري أو التصورات اليهودية الرمزية التي توقعها نيقوديموس.

تطبيقات

- خصص وقتًا يوميًا للإنجيل لتقابل المسيح شخصيًا، واطرح على نفسك سؤال: "ماذا يريد الله أن يعلمني اليوم؟"
- عامل الآخرين بلطف المسيح، خصوصًا المترددين أو المشككين، واظهر صبرًا ومحبة بعيدًا عن إصدار الأحكام.
- صلِّ بانتظام من أجل الولادة الجديدة، طالبًا من الله أن يجدد قلبك ويقودك بروحه في كل جوانب حياتك.

(2) حوار حول الميلاد الجديد

4 قَـــــــالَ لَـــــــهُ نِيقُودِيمُـوسُ: «كَيْـفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَـدْخُلَ بَطْـنَ أُمِّـهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟»

- تكشف استجابة نيقوديموس قصور فهمه لتعليم المسيح عن الولادة الجديدة، إذ فسرها بمنظور مادي (الدخول إلى بطن الأم)، مما يعكس صعوبة العقل البشري في إدراك الأمور الروحية دون نعمة الله.
- كان نيقوديموس، كفريسي ومعلم إسرائيل، يعتز بنسبه اليهودي وبره الذاتي، مما جعله يرى الولادة الجديدة مستحيلة أو غير ضرورية.
- لكنه أبدى تواضعًا بالتساؤل بدلًا من الرفض، مظهرًا انفتاحًا للتعلم رغم خبرته ومكانته، وهو درس في التواضع لكل باحث عن الحق.

5 أَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ.

- أكد المسيح بقوله "الحق الحق" أن الولادة الجديدة، التي تتم بالمعمودية (الماء والروح)، ضرورية لدخول ملكوت الله، مشابِهةً الختان في العهد القديم كشرط للانتماء لشعب الله.
- الماء في المعمودية ليس مجرد رمز، بل أداة حقيقية للغسل الداخلي والموت عن الحياة الجسدية (رو 6: 4)، بينما الروح القدس يقدس ويجدد النفس، مانحًا حياة جديدة على صورة المسيح.
- هذا الميلاد الروحي، الذي يسبقه التوبة، يحرر الإنسان من سلطان الشيطان، يجعله ابنًا لله، ويؤهله للحياة الأبدية.

6 اَلْمَوْلُـــودُ مِـــنَ الْجَسَـدِ جَسَـدٌ هُـوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ.

- يوضح المسيح الفرق الجذري بين الولادتين:
  - ✓ الولادة الجسدية من آدم تنتج إنسانًا فاسدًا تسيطر عليه شهوات الجسد،
  - ✓ الولادة من الروح، التي تتم بالمعمودية، تمنح إنسانًا روحيًا يقوده الروح القدس نحو الحياة الأبدية.
- هذا يبرز استحالة تحقيق الخلاص بالجهد البشري أو الولادة الجسدية، مؤكدًا ضرورة التجديد الداخلي الذي يحول الطبيعة الجسدانية إلى روحية.
- رغم ذلك، يستمر الصراع بين الجسد والروح في الحياة الأرضية (غل 5: 17)، لكن المعمودية تمنح نعمة إلهية تعين الإنسان المجاهد، فيميل نحو البر ويثمر ثمارًا سماوية بقوة الروح القدس الذي يخلق فيه إنسانًا جديدًا.

7 لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ.

- يؤكد المسيح بكلمة "ينبغي" أن الولادة من فوق، التي تتم بالمعمودية، إلزامية لكل من يريد العيش في شركة مع الله ودخول ملكوته، وليست خيارًا للنخبة.
- هذا التعليم يطمئن نيقوديموس بعدم التعجب من ضرورة التجديد الروحي، داعيًا المؤمنين لتقدير نعمة المعمودية والسلوك كأبناء لله.
- يحثنا ذلك على التساؤل: هل نسير بروحانية يقودها الروح القدس في أفكارنا وعلاقاتنا، أم ننقاد لشهوات الجسد وميول العالم؟

8 اَلـرِّيحُ تَهُـبُّ حَيْـثُ تَشَـــاءُ، وَتَسْـــمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَـأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَـذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ».

- يوضح المسيح، بمثال الريح (التي تعني أيضًا "روح" بالعبرية واليونانية)، طبيعة عمل الروح القدس السري، الذي لا يُرى لكن تظهر آثاره، كحركة الأشجار بالريح دون معرفة مصدرها أو وجهتها.
- هكذا يعمل الروح في المولود منه عبر المعمودية وسر الميرون، فيحدث تغييرًا واضحًا في حياة المؤمن، يتجلى في ثمار مثل الحب، الحكمة، الصبر، التواضع، والبصيرة الروحية.
- هذا العمل الإلهي الحر يحول الإنسان إلى خليقة جديدة، يقودها الروح نحو السماويات، ويجعلها عضوًا في جسد المسيح، قادرًا على التغلب على الشر.

تطبيقات

- ابدأ يومك بالصلاة، طالبًا إرشاد الروح القدس في كل خطوة وسلوك.
- افحص قلبك بانتظام: هل تظهر فيك ثمار الروح (المحبة، الفرح، السلام، الصبر، اللطف، الاتضاع...)، أم تنقاد لشهوات الجسد؟
- ميّز قراراتك اليومية بحسب الدوافع: هل تنبع من استنارة روحية أم من رغبات بشرية؟ اطلب نعمة التمييز من الله.
- انظر إلى الخلافات والعلاقات الصعبة كفرص عملية ليعمل الروح القدس فيك ويشكّلك أكثر على صورة المسيح.
- ذكّر نفسك بهويتك كخليقة جديدة في المسيح، مدعوّة للسلوك بالروح لا بالجسد (رومية 8: 14).

9 أَجَابَ نِيقُودِيمُوسُ وَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هذَا؟»

10 أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هذَا!

- يعبر نيقوديموس عن حيرته بسؤاله "كيف يمكن أن يكون هذا؟"، مما يكشف صعوبة فهمه للولادة الروحية بسبب اعتماده على المنطق المادي، رغم توضيح المسيح أنها عمل إلهي يتم بقوة الروح القدس.
- يوبخ المسيح نيقوديموس بلطف، داعيًا إياه للاتضاع، إذ كان يُفترض بمعلم إسرائيل معرفة تعاليم الأنبياء عن تجديد القلوب بالروح (1 صم 10: 9؛ حز 36: 25-28؛ يؤ 2: 28-29)، مما يشير إلى الخلق الجديد.
- يبرز العتاب أن المعرفة الحرفية لا تكفي لإدراك القصد الإلهي، الذي يتطلب تواضعًا وانفتاحًا لإرشاد الروح القدس.

11 اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا.

12 إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟

- يؤكد المسيح، بقوله "الحق الحق" واستخدام صيغة الجمع ("إننا نتكلم... نشهد")، صدق شهادته التي تعبر عن وحدته في الثالوث القدوس، مشيرًا إلى معرفته الإلهية الفريدة.
- يوبخ نيقوديموس بلطف لعدم قبوله هذه الشهادة، مؤكدًا أن رفضها يعكس جهل العالم المادي بالحق الإلهي.
- يوضح المسيح أن عدم إيمان نيقوديموس بالأمور "الأرضية"، مثل تشبيه عمل الروح بالريح أو سر المعمودية، يجعله غير قادر على فهم "السماويات"، مثل وحدته مع الآب، الفداء، القيامة، والصعود.
- الأرضيات هي الحقائق الروحية المشروحة بأمثلة مادية لتسهيل الفهم، بينما السماويات هي الأسرار الإلهية التي تتطلب إيمانًا عميقًا.

13 وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ.

- يكشف المسيح لاهوته كابن الإنسان الذي نزل من السماء وبقي فيها بلاهوته، وهو وحده القادر على إعلان الأسرار السماوية.
- يصحح فكرة نيقوديموس الذي رآه مجرد معلم، مؤكدًا أنه الإله المتجسد الذي يحمل المؤمنين إلى السماء عبر تجسده وصعوده.

(3) يسوع والحية النحاسية

14 «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ،

15 لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.

- يربط المسيح بين رفع الحية النحاسية في البرية (عد 21: 8-9) ورفعه على الصليب، موضحًا أن فداءه ضروري للخلاص.
- كما شفت الحية النحاسية من لدغات الموت، يخلّص المسيح، الذي صار خطية لأجلنا دون خطية، كل من يؤمن به من موت الخطية، مدمرًا سلطان الشيطان.
- يعلن المسيح أن الخلاص هبة مجانية مقدمة عبر الصليب، مشروطة بالإيمان به، فتحت أبواب الحياة الأبدية لكل مؤمن.
- يدعو المؤمنين للتمسك بهذه النعمة بالجهاد والإيمان، حتى يحفظوا هذا الخلاص بخوف ورعدة (في 2: 12).

(4) هدية الخلاص الإلهي

16 لأَنَّــهُ هكَــذَا
أَحَــبَّ اللهُ الْعَــالَمَ
حَتَّــى بَــذَلَ ابْنَــهُ
الْوَحِيــدَ، لِكَــيْ لاَ
يَهْلِــكَ كُــلُّ مَــنْ
يُــؤْمِنُ بِــهِ، بَــلْ
تَكُــونُ لَــهُ الْحَيَــاةُ
الأَبَدِيَّةُ.

- تُعد هذه الآية من أعمق وأقوى الإعلانات الموجزة عن محبة الله وخلاصه، وقد حظيت باحتفاء واسع على مر العصور، حتى أصبحت من أكثر الآيات استخدامًا في الكرازة عبر تاريخ الكنيسة.
- يوضح المسيح لنيقوديموس أن الخلاص لا يتحقق بالعمل بالناموس، بل بالإيمان بابن الله الوحيد، الذي بذله الآب بدافع محبته اللامحدودة (أغابي) للعالم - يهودًا وأممًا - ليمنح الحياة الأبدية لكل مؤمن، لا كجزاء لاستحقاق، بل كهبة مجانية.
- هذه المحبة، التي تساوي آلام الآب بآلام الابن (كانت آلام إبراهيم حين قدَّم إسحق ذبيحة تساوي تمامًا آلام إسحق)، تتجلى في تجسد المسيح، ابن الإنسان وابن الله، ورفعه على الصليب.
- فالصليب، الذي يجتذب الجميع (يو 8: 28؛ 12: 32-34)، هو محور الخلاص، إذ دمر سم الخطية وحرر الإنسان لبنوة الله، داعيًا المؤمنين للصلاة من أجل غير المؤمنين لينالوا نعمة الإيمان والحياة الأبدية.

سبع أمور عجيبة في يوحنا 3: 16

الله ـ السلطان الأعلى

أحب ٱلْعَالَم ـ الدافع الأقوى

بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ ـ العطية الأعظم

لِكَيْ لَا يَهْلِكَ ـ الخلاص الإلهي

كُلُّ مَنْ ـ الدعوة المفتوحة

يُؤْمِنُ بِهِ ـ النجاة الأسهل

بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ ـ العطية التي لا تُقدر بثمن

- إذا كان هناك جملة واحدة تلخص رسالة الأناجيل الأربعة فهي هذه الآية.
- فمحبة الله ليس لها حدود وتشمل كل البشر.
- لم يكن هناك تضحية أعظم يمكن أن تؤثر بقوتها على البشرية بأكملها كالتضحية التي قدمها الله: ابنه الوحيد الحبيب.

(5) دينونة الخطية

17 لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ.

- يؤكد المسيح أن الخلاص يتحقق بالإيمان به، وليس بالعمل بالناموس، إذ أرسل الله ابنه ليخلّص العالم - يهودًا وأممًا - لا ليدينه، مفندًا توقعات اليهود بدينونة الأمم (إش 52: 10).
- دافع الخلاص هو محبة الله الثابتة الأبدية (إر 31: 3)، التي بذل بها الآب ابنه الوحيد لتبرير الخطاة بدمه، لا لاستيفاء العدل الإلهي، وهي محبة فاقت العقل وألهمت القديسين لترك كل شيء.
- هذه المحبة تدعو المؤمنين للدخول في شركة حب أبدية مع الله، متسائلين: هل يعكس سلوكنا إدراكًا عمليًا لهذا الحب العجيب، كما فعل القديسون؟

18 اَلَّـذِي يُـؤْمِنُ بِـهِ لاَ يُـدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ.

19 وَهـذِهِ هِـيَ الدَّيْنُونَـةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً.

20 لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ.

- من يؤمن ويعتمد يثبت في جسد المسيح (أف 5: 30)، فيخرج من دائرة الدينونة إلى دائرة الحب والحياة الأبدية، بينما من يرفض النور – المسيح - لتمسكه بالخطية يستحق الدينونة، التي تبدأ على الأرض بضمير معذب (يو 12: 31).
- يبغض الأشرار النور لأن أعمالهم الشريرة (عادات خاطئة وسلوك فاسد) تُوبخ في حضرته، فيهربون إلى الظُلمة، مُفضلين الخطية على الحق، كما تخلى ديماس عن بولس لمحبته العالم (2تي 4: 10)

21 وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ».

- من يُمارس الحق – حياة الالتصاق بالمسيح – يُقبل إلى النور بنعمة الله، فيظهر نور أعماله الصالحة التي تتم بقوته (في 2: 13).
- نيقوديموس مثل لذلك، فلما اقترب من المسيح ليلاً ونما إيمانه، استطاع أن يجاهر علنًا به (الإيمان) عند الصليب (يو19: 39).

تطبيقات

- خصّص وقتًا يوميًا للصلاة، شاكرًا الله على محبته العظيمة التي بذل بها ابنه لأجلك (يو3: 16)، واطلب أن يملأ قلبك بهذا الحب.
- راجع إيمانك بصدق: هل هو مجرد معرفة عقلية أم علاقة حيّة واتحاد دائم بالمسيح؟عِش هذا الإيمان من خلال المعمودية الحقيقية، والتوبة اليومية التي تجعلك ثابتًا في دائرة محبة الله.
- واجه خطاياك أمام الله بصدق وانسحاق، واطلب نور المسيح من خلال الاعتراف والتوبة، ليطهّرك ويقودك إلى حياة صالحة ومثمرة.
- ضع أمامك أسماء أناس لم يختبروا نور المسيح بعد، وصلِّ من أجلهم يوميًا ليقبلوا الحق ويجدوا الحياة الأبدية.

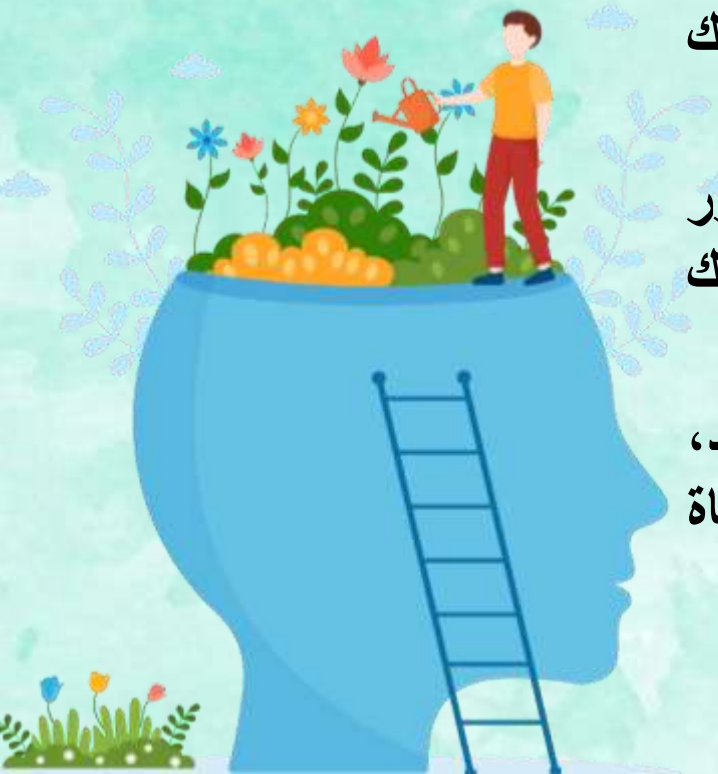

السؤال الذهبي

متى تقرأ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فصل لقاء الرب يسوع مع نيقوديموس؟

يُقرأ فصل لقاء الرب يسوع مع نيقوديموس في:

- إنجيل قداس يوم الجمعة من الأسبوع السادس من الصوم الكبير
- طقس تقديس ماء المعمودية

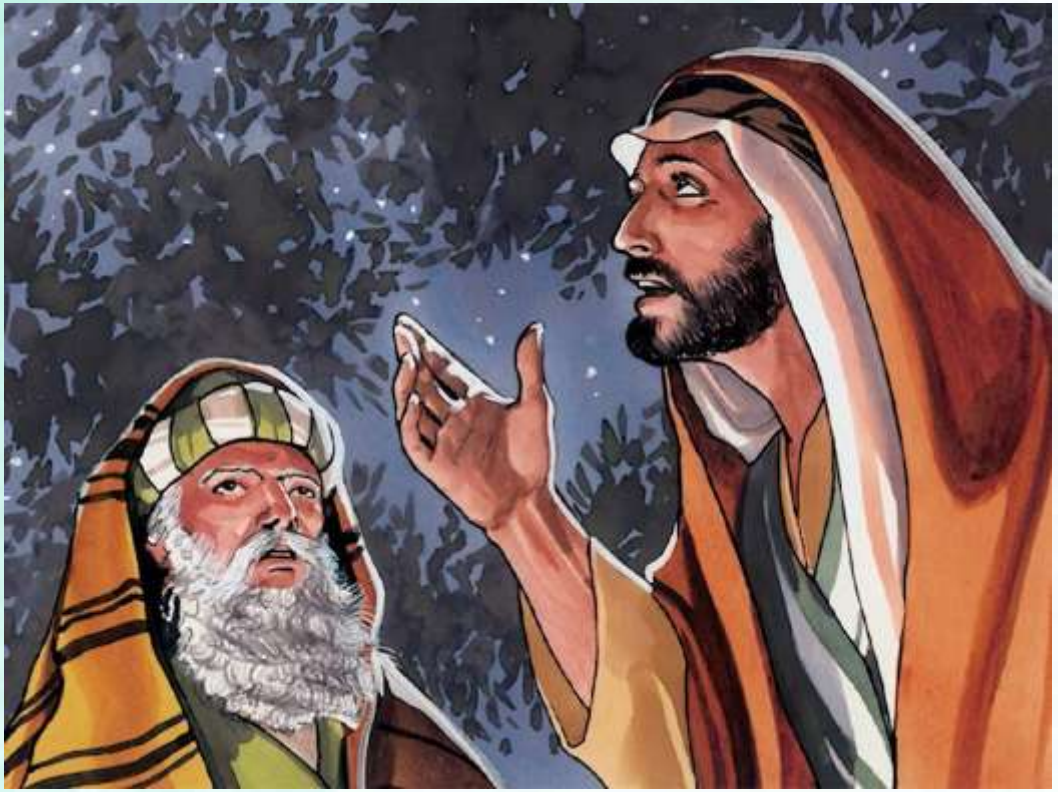

ثانيًا: شهادة يوحنا المعمدان الأخيرة عن يسوع (يو3: 22 – 36)

(1) يسوع يُعَمِّدُ في اليهودية بينما كان يوحنا أيضاً يُعَمِّدُ

22 وَبَعْدَ هذَا جَاءَ يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ إِلَى أَرْضِ الْيَهُودِيَّةِ، وَمَكَثَ مَعَهُمْ هُنَاكَ، وَكَانَ يُعَمِّدُ.

23 وَكَانَ يُوحَنَّا أَيْضًا يُعَمِّدُ فِي عَيْنِ نُونٍ بِقُرْبِ سَالِيمَ، لأَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانُوا يَأْتُونَ وَيَعْتَمِدُونَ.

24 لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوحَنَّا قَدْ أُلْقِيَ بَعْدُ فِي السِّجْنِ.

- بعد حواره مع نيقوديموس في أورشليم، انتقل المسيح وتلاميذه إلى أرض اليهودية الريفية شرق جبال أورشليم على ضفاف الأردن، حيث مكثوا وكانوا يعمدون الجموع (يو 4: 2)، لكن المسيح ركز على التعليم، تاركًا المعمودية لتلاميذه، كما فعل بولس لاحقًا (1 كو 1: 14-17).
- هذه المعمودية، شبيهة بمعمودية يوحنا، كانت إعدادًا للتوبة بالتغطيس، وليست سرائرية كما بعد حلول الروح القدس (أع 19: 5).
- في الوقت نفسه، كان يوحنا المعمدان يعمد في عين نون قرب ساليم غرب الأردن، بسبب وفرة المياه، مما يؤكد التغطيس، وذلك قبل سجنه، موازيًا خدمة المسيح في اليهودية.
- يوضح القديس يوحنا أن خدمة المسيح بدأت قبل سجن المعمدان، على عكس ما قد توحي به الأناجيل الأخرى، ليؤكد استمرارية العمل الإلهي في تهيئة الشعب لملكوت الله.

(2) سمع يوحنا عن خدمة يسوع في التعميد

25 وَحَدَثَتْ مُبَاحَثَةٌ مِنْ تَلاَمِيذِ يُوحَنَّا مَعَ يَهُودٍ مِنْ جِهَةِ التَّطْهِيرِ.

26 فَجَاءُوا إِلَى يُوحَنَّا وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هُوَذَا الَّذِي كَانَ مَعَكَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، الَّذِي أَنْتَ قَدْ شَهِدْتَ لَهُ، هُوَ يُعَمِّدُ، وَالْجَمِيعُ يَأْتُونَ إِلَيْهِ»

- نشأ نقاش بين تلاميذ يوحنا المعمدان وبعض اليهود حول مسألة التطهير، إذ قارنوا بين معمودية يوحنا المرتبطة بالتوبة وشرائع العهد القديم، وبين معمودية تلاميذ المسيح التي بدأت تجذب الجموع بشكل متزايد.
- هذا الوضع أثار غيرة تلاميذ يوحنا، الذين غاب عنهم ما سبق أن أعلنه معلمهم عن المسيح بصفته ابن الله (يو1: 34)، وأنه أعظم منه (يو1: 27).
- بدافع الارتباط العاطفي، تحدثوا إلى يوحنا عن المسيح بنبرة استخفاف، مشيرين إليه بعبارة "الذي كان معك"، دون ذكر اسمه، واشتكوا بأن "الجميع يأتون إليه"، وكأنهم يطالبون يوحنا بالدفاع عن خدمته ومعموديته.
- يكشف هذا التحيز العاطفي، الناتج عن محبة بشرية متعصبة، عن خطر الغيرة الروحية، وينبهنا إلى ضرورة التمييز وعدم الانحياز للأشخاص على حساب الحق، لئلا تُعيق قلوبنا عن اتباع المسيح ووصاياه بصفاء ونقاء.

(3) جواب يوحنا لتلاميذه المضطربين

27 أَجَابَ يُوحَنَّا وَقَالَ: «لاَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ السَّمَاءِ.
28 أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ تَشْهَدُونَ لِي أَنِّي قُلْتُ: لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ بَلْ إِنِّي مُرْسَلٌ أَمَامَهُ.
29 مَنْ لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ، وَأَمَّا صَدِيقُ الْعَرِيسِ الَّذِي يَقِفُ وَيَسْمَعُهُ فَيَفْرَحُ فَرَحًا مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْعَرِيسِ. إِذًا فَرَحِي هذَا قَدْ كَمَلَ.

- يرد يوحنا المعمدان على غيرة تلاميذه بروح هادئة واتضاع عميق، موضحًا:
  (1) أن الإنسان لا يقدر أن يأخذ شيئًا ما لم يُعطَ له من السماء، فكل ما لديه هو عطية إلهية.
  (2) يذكّرهم بشهادته السابقة بأنه ليس المسيح، بل المرسل أمامه ليهيئ الطريق، مؤكدًا وعيه بدوره وحدود خدمته.
  (3) يشبّه المسيح بالعريس، والعروس بالكنيسة، ويصف نفسه بصديق العريس الذي يفرح لسماع صوت العريس ورؤية نجاح العرس، معلنًا أن فرحه قد اكتمل حين رأى الناس يذهبون إلى المسيح.
- بهذا التواضع، يعلّمنا يوحنا أن نخدم بأمانة دون أن ننسب لأنفسنا ما ليس لنا، موجهين كل المجد للمسيح، الذي بامتداد عمله يكمل فرحنا.

30 يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ.

- عبّر يوحنا المعمدان بفرح واتضاع عن إدراكه لمرحلة انتقالية في خطة الله، قائلاً: "ينبغي أن ذلك يزيد وإني أنا أنقص"، مؤكدًا أن دور الأنبياء كمصابيح موقّتة ينتهي بظهور المسيح، شمس البر الحقيقية.
- ففي حين استشهد يوحنا في الخفاء وهو في السجن، مضى المسيح إلى الصليب علانية، حاملاً خطايا العالم، ليقوم منتصرًا ويهب الحياة الأبدية للبشرية.
- هذا الإعلان يكشف عن عمق الاتضاع الذي يجب أن يتسم به المؤمن، حيث يتناقص "الذات" لينمو المسيح فيه، وتتقدس الإرادة والعواطف والفكر بحسب مشيئته.
- يفرح المعمدان بتناقص أتباعه لصالح تزايد أتباع المسيح، لأنه يرى في ذلك اكتمال رسالته في تهيئة النفوس له، معلّمًا إيانا أن نخلع مجدنا البشري ليتجلّى فينا مجد الله (1 كو 4: 7).

(4) شهادة يوحنا عن يسوع

31 اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، وَالَّذِي مِنَ الأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ، وَمِنَ الأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. اَلَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ،

32 وَمَا رَآهُ وَسَمِعَهُ بِهِ يَشْهَدُ، وَشَهَادَتُهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْبَلُهَا.

- يعلن يوحنا المعمدان، بإرشاد الروح القدس، أن المسيح هو "الذي من فوق"، أي من الآب، ويفوق الجميع علمًا ومجدًا وسلطانًا، لأنه ابن الله الأزلي غير المنفصل عن الآب (يو 1: 34).
- في المقابل، يقرّ المعمدان بأنه "من الأرض"، أي محدود بالزمن والطبيعة البشرية، ويشهد بعجزه أمام من يحمل شهادة سماوية مباشرة من الآب، ويعلن الحق الإلهي الكامل (يو 5: 19).
- رغم أن شهادة المسيح مصدرها السماء، فإن كثيرين لم يقبلوها، مما يشير إلى الرفض المسبق من الكتبة والفريسيين لتعاليمه وفدائه، كما تنبأ إشعياء (إش 53: 1-3).
- يدعونا يوحنا المعمدان إلى التواضع، مع الاعتراف بضعف إدراكنا البشري، والثقة الكاملة في شهادة المسيح، حتى وإن أنكرها العالم.

33 وَمَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ خَتَمَ أَنَّ اللهَ صَادِقٌ،

34 لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ اللهِ. لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللهُ الرُّوحَ.

- يؤكد يوحنا المعمدان أن من يقبل شهادة المسيح يعلن بختم الإيمان أن الله صادق، لأن المسيح، بكونه كلمة الله وصورة الآب (يو 1: 18؛ كو 1: 15)، يُظهر إرادة الآب ومحبته، محققًا وعود الخلاص التي وردت في العهد القديم (تث 18: 15-19).
- الإيمان بشهادة المسيح يعني تصديق رسالة الله في إرسال ابنه لفداء البشرية وإحيائها من الموت الروحي.
- يوضح المعمدان أن المسيح، بخلاف الأنبياء الذين نالوا الروح القدس بمقدار، قد أُعطي له الروح بلا كيل، لأنه الله المتجسد، المتحد أقنوميًا بالروح والآب (يو 10: 36).
- هذا الامتلاء الإلهي ظهر في مسحة المسيح كملك وكاهن ونبي، ويُمنح لنا نحن أيضًا كقوة للحياة الجديدة به (أف 1: 19-20).
- يعلّمنا المعمدان أن نقبل شهادة المسيح بثقة، معترفين بأمانة الله، وأن نعتمد على قوة الروح القدس التي تعمل فينا من خلاله.

35 اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ.
36 الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ».

- يشهد يوحنا المعمدان أن "الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده"، كاشفًا سر المحبة داخل الثالوث الأقدس، حيث يتحد الآب والابن في الجوهر والمجد (يو 17: 10؛ 1 يو 4: 16).
- هذا الإعلان يثبت لاهوت المسيح، لأنه يشارك الآب في السلطان والمجد، بما يتوافق مع قول الله: "مجدي لا أعطيه لآخر" (إش 42: 8).
- يختتم المعمدان بشهادة حاسمة: الإيمان بالابن يمنح الحياة الأبدية، بينما رفضه يترك الإنسان تحت غضب الله، أي تحت دينونة الخطية والموت (أف 2: 3).
- هذا الإيمان الحقيقي يتضمن المعمودية باسم الثالوث (مت 28: 19)، والطاعة لوصايا المسيح (مت 7: 21)، والموت عن الخطية والقيامة معه لحياة جديدة (رو 6: 11).
- يعلّمنا المعمدان أن المسيح هو طريق الخلاص الوحيد، وأن الثبات في محبته هو السبيل للهروب من غضب الله والتمتع بالحياة الأبدية.

تطبيقات

- خصّص وقتًا يوميًا للصلاة تعترف فيه بعجزك وتطلب أن يزداد حضور المسيح في حياتك.
- ابتعد عن روح التفاخر أو المقارنة في المعرفة أو الخدمة، واطلب الاتضاع الحقيقي.
- قبل القيام بأي عمل روحي (كوعظ أو خدمة أو مشاركة)، تأكد: هل الهدف تمجيد المسيح أم إبراز ذاتك؟ وجّه أنظار الناس دومًا إلى المسيح، لا إلى نفسك أو من تقودهم أو تُعجب بهم.
- عندما ترى نجاح الآخرين في الخدمة، راقب مشاعرك، وصلِّ لأجلهم بمحبة، سواء علنًا أو سرًا.
- إن شعرت بغيرة داخلية، صارح الله بها واطلب أن يعطيك فرحًا حقيقيًا بنجاح الآخرين.
- في قراراتك اليومية، اسأل نفسك: "ما موقف المسيح من هذا الأمر؟"، واسعَ لتطبيق وصاياه فعليًا حتى إن خالفت رغباتك (راجع متى 7: 21).

موضوعات مُختارة
من يوحنا 3

1. سرّ المعمودية في يوحنا 3

«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ». (يو3: 3)

- يؤكد المسيح أن الولادة الجديدة شرط أساسي لدخول ملكوت الله، وهي تجديد روحي عميق يولد الإنسان لحياة جديدة مع الله.
- هذه الولادة تتطلب تحولاً حقيقياً في القلب وتوبة صادقة، إذ بدونها لا يمكن للمؤمن أن يرى ملكوت الله.

«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. (يو3: 5)

- المعمودية بالماء والروح معًا: فالمعمودية ليست مجرد رمز خارجي، بل هي سر حقيقي يتضمن غسلًا بالماء يرمز للموت عن الحياة القديمة (رو6: 4)، وتجديدًا بالروح القدس الذي يقدس النفس ويمنحها حياة جديدة على صورة المسيح. هذان العنصران معًا يعلنان بداية حياة المؤمن الجديدة، ويمثلان دخولًا فعليًا في العهد مع الله.

2. السلطان الإلهي للسيد المسيح في يوحنا 3

اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ. (يو3: 35)

- تُبرز هذه الآية لاهوت المسيح، باعتباره ابن الله الموحد مع الآب في الجوهر والسلطان، مما يؤكد سر التجسد وألوهية المسيح:

سلطان الآب = سلطان الابن.

3. مبادئ هامة في الخدمة في يوحنا 3

الاتضاع	التركيز على هدف واضح	الشهادة بالحق	الثقة في عمل الروح القدس	محبة الآخرين وحرصنا على خلاصهم
• الخدمة ليست للتفاخر، بل لتكريم المسيح وتمجيده.	• الخدمة الحقيقية تهيئ الطريق للمسيح • لا نحاول جذب المجد لأنفسنا، بل لنُرِ الناس المسيح.	• يجب أن نكون أمناء في إعلان الحقيقة، حتى لو كانت غير مريحة أو غير مقبولة كما شهد يوحنا بأن المسيح هو "ابن الله" و"من عند الله"	• النجاح في الخدمة يعتمد على الروح القدس الذي يمنح حياة وتجديد	• الخدمة يجب أن تدفعنا إلى الحب الحقيقي للناس ورغبتنا في خلاصهم: "لأنه هكذا أحب الله العالم..." (يوحنا 3: 16).